م د عواد قاسم

التوراة والتَلمود في ميزانِ العقلِ والنقل

الجامعة المستنصرية كلية التربية

(دراسةٌ و تحليل)

المُلخّص: يتسائلُ الكثير عن سرّ الشرّ والعدوان اليهودي الصهيوني ومنشئهُ، ذلكَ الشرُّ الّذي لا يرى للإنسانيّة إعتبار، ولا الى الرحمة مِن خَيار، يرى اليهودي نفسهُ أميرا ويرى غيره حقيرا. إلّا أنَّ الإطلاعَ على شيءٍ مِن تعاليم التلمود، يَتّضح جيدا أنّهُ مَصدر الشرّ والظلام، وأنّهُ مصدرُ الفرقةِ بين الأديان وأهل الإيمان، وأنَّ الجمودَ على النصِّ التلمودي تجفيفٌ لمنابعِ الخيرِ والسَّلام في الإنسان الّذي خلقهُ الله تعالى في أحسنِ تقويم، فلا يستقيم التقويم الإلهي مع الأنانيّة والشرّ التلمودي. فمن ألقى نظرةً سطحيّةً على بعض تعاليم التلمود يقطع قطعا تامّا، بأنّه مِن وضعِ البشرِ الخطّاء، ولا علاقة لهُ بعدالةِ الحكيم الرحمن، فقد إمتلىء التلمود بتعاليم الشرّ المَحض، الّذي لا يركُن اليه العُقلاء والمُتشرعة، مهما إختلفوا في الدّين والعقيدة والمذهب، فإنَّ العقل البشري لهُ القُدرة الكافيةِ على التمييزِ بين الخيرِ والشرّ، بينَ الفضيلة والرذيلة.

مضافا الى أنَّ الإنسانَ في طبيعتهِ ـ لو خُلّي وطبعه ـ ميّالٌ الى المصالحِ والمنافعِ الشخصيّة، كيف إذا وجدَ مِن النصوص الدينيّة الساندةِ الى تلكَ المنافعِ والمصالح والأنانيّة الفرديّة، بالتأكيد تزداد عندهُ الأنانيّة وحُبُّ الذات، وتقديمها على مصالح البشر العامّة، فتكون الأنانيّة والشرّ مُمضاة مِن المُشرّع الديني، وهذا ما لا يقبلهُ عقلٌ ولا شرع.

ومن هنا كان من الضروري تسليط الضوء على خطر التلمود في حياة الشعوب الطامحة للسلام والأمان، وأنّهُ مصدر الشرور اليهوديّة الصهيونيّة، حتّى أصبحت الصهيونيّة السياسيّة اليوم، تُمثّل الشيطان الأكبر، الّذي حذّر منهُ القرآن المجيد بقولهِ{ إنَّ الشيطانَ للإنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}يوسف -5-. وفضح منافذ الشرّ والعدوان، وإلباسِها لِباس الدّين والقداسة الكاذبة، وتسطيح عقول الشعوب، ومُحاولة إقناعهُم بِأنَّ مِن الضروري أن يموت الجميع، بِإستثناء اليهودي بِأمر الربِّ، وأنَّ ذلك موافق لِإرادة السماء، وهكذا حُزعبلات وإنحطاطات أخلاقيّة وعقليّة وتشريعيّة يُطبقونها عمليّا، مِن خِلال القتل المُمنهج، والإبادة الجماعيّة العلنيّة، بدعمٍ شيطانيٍّ أمريكيٍّ وأُروبّيٍ، وسَلبِ خيرات الشعوب دون وجه حق.

وقد كشف القرآن المجيد فساد تلك العقائد التلموديّة اليهوديّة، وبيّن خِرافاتهم ودعواتهم الباطلة المُظلّة، وحذّر مِن توسّعِها والرضوخ لها، لِكونِها شرّا محضا، لا تُبقي للكرامة والإنسانيّة والعَقيدة وجود، وتُؤثّر سَلبا في سلوكِ الإنسان وفطرتهِ السّليمة، وما تملكهُ مِن فضائلٍ وطاقاتٍ خيّرةٍ.

مُقدمةٌ:

الخيرُ والشرُّ طبيعتان قائمتان في سلوك الإنسان، تتأثران بعواملٍ خارجيّة وباطنيّة، قال تعالى **{نفسٍ وَمَا سَوّاها فألهَمَها فُجُورَها وتَقوَاهَا قَد أفلَحَ مَن زكَّاهَا وقَد خَابَ مَن دَسّاهَا}**الشمس -7 - 10- .وتأثير هاتان الطبيعتان يزداد سِعةً وضيقا، حسب طبيعة العوامل الداخلة عليها، ومدى تأثيرها بِقوى النفس والعَقلِ، فتارة نجد إنسانا في أحسنِ تقويم، وتارة أُخرى نجد إنسانا أسفل السافلين، وبِما أنَّ القوّتين الأكثرُ فتكاً وتأثيرا في سلوك الإنسان، هما قوّة (المنفعة والعقيدة)، وهاتان القوّتان مصدر الشرِّ والخير معا، حينما يكون هُناك إفراط وتفريط في إستخدام هذه القِوى وترتيب الآثار عليها، وحينما لا يكون هُناك فهمٌ صحيح للعقيدة والتشريع الحقّ، الّذي يتناسب ومفهوم (ربّ العالمين الرحمن الرحيم). أو يكون فهم المنفعة والمَيل النفسي والعاطفي، مكسبا شخصيّا وليسَ نوعيّا، فيُسخّر الإنسانُ كُلَّ قِواه الباطنيّة لفائدتهِ الخاصّة ومنفعته الشخصيّة والأنانيّة الفردية، ولا علاقة لهُ بالنوع البشري، المُشارك لهُ في الحياةِ الدنيويّة والأُخوّة الإنسانيّة.

وكُلٌّ مِن هاتين القوّتين(أنانيّة المنفعةُ والعَقيدة الباطلة) إجتمعت في كُتبِ بني إسرائيل اليهود، وبالأخصِّ(التلمود)، الّذي يعتبرونهُ الشريعة الشفويّة لهُم، بل يُقدمونهُ على التوراةِ وأسفار العَهد القديم، كما سوف يأتي.

وهذا الإنحراف في عقيدةِ اليهود، ناشئٌ عن الإنحرافِ الفكري والعَقَدي والأخلاقي، بفعلِ تأثّرهم في مُحيطِ الديانات الوثنيّة، التي كانت تُحيط بِهم وتُسيطر عليهم لفتراتٍ طويلة، وتعدّد الآلهة عندهُم، حتّى مُليئت كُتبهُم بالوثنيّات والماديّات فنسبوها الى الذات الإلهيّة، وجعلوا أنفسهَم مُشاركين لله تعالى في كثيرٍ من الأُمور، بل ويزيدون عليه قوّةً وغلبةً كما يَعتقدون.

وقد كشف الله تعالى وقضى في كتابهِ لبني إسرائيل**{وَقَضَينَا إلى بَنِي إسرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفسِدُنَّ فِي الأرضِ مَرَّتَينِ وَلَتَعلُنَّ عُلُواً كَبِيرا}**الأسراء - 4 -. ومن هُنا كان علينا بيان مخاطر التلمود في الفكر اليهودي، وما هو نوع الفَساد، وما علاقة الفساد بالعلو الكبير الّذي ذكرتهُ الآية الكريمة، ولِماذا يخفي اليهود التلمود ولا يُعلنوه، وما علاقة التلمود بالأخلاق والسلوك اليهودي، وما هو التلمود وكيف ومِن أين جاءوا به، وهل يَصلُح أن يكون التلمود في المقاسات والمُتطلبات العصريّة، صالحا للسِّلمِ والتعايش المُجتمعي، وهل صَدرَ من اليهود عِبر التأريخ موقفا إنسانيّا أو سِلميّا إتجاه القضايا العالميّة والدينيّة. كُلُّ ذلك يحتاج الى بيانٍ وتوضيحٍ وشواهد، خصوصا وأنّهُم يَدّعون أنّهُم شعبُ الله المُختار، ونحن لليوم لم نعرف ماذا يقصدون بالإله(الربّ)، الّذي إختارهُم، أم هُم مَن إختاروه، وما هي معايير الإختيار.

المبحث الأوّل: التعريفُ بكتبِ اليهود وبيان أخلاقيّاتِها وسلوكياتها

المطلب الأوّل: التعريف بكتبِ اليهود

تُسمّى كتب اليهود بِأسفار العهد القديم، ويعتقد البروتستانت أنَّ عدد الأسفار(39)سِفرا، ويعتقد الكاثوليك أنَّ عددها(46)سِفرا.

الكتاب الأوّل: لدى اليهود يُسمى**(تِناك)**، وهي التسمية الشائعة خصوصا لدى اليهود العبرانيين ،إذ إنَّ حرف(ت)يرمز الى أسفار التوراة الخمس (التكوين والعدد والخروج واللاويين والتثنية) وحرف(ن)يرمز لأسفار الأنبياء (نبيئيم). وحرف (ك) يرمز لأسفار الكتاب(كتوبيم). أمّا اليهود السامريين فيعتقدون بانَّ الكتاب المقدس هو عبارة عن (أسفار التوراة الخمس وسِفر يوشع) فحسب، وهُم فرقة أقليّة(عواد، نظرة في التوراة، ص22).

الكتاب الثاني: لدى اليهود يُسمى**(المِشنا)**، وهو بِمثابة السُنّة لدى المسلمين، ويعتقدون أنّهُ وحيٌ تلقاه موسى(عليه السلام) كما تلقى التوراة، وعلّمهُ للشيوخ، والشيوخ علّموهُ للأنبياء ـ الشيوخ طبقةٌ أرقى من الأنبياء ـ والأنبياء علّموه لرجال (السنهدرين)، وهي المحكمة اليهوديّة العليا التي تأسست بعد السَبي البابلي، أواخر القرن الخامس قبل الميلاد. وبعد ظهور المسيح بِمائةٍ وخمسين سنة خاف الحاخام(يوضاس)ان تلعب يد الضياع بهذه التعاليم الشفوية والروايات،فجمعها في كتاب سمّاه(مِشنا)بمعنى الشريعة المكررة، فالمِشنا بمعنى التكرار وليس تفسيرا أو تكميلا،وأضاف حاخامات فلسطين وبابل زيادات على ما دونهُ (يوضاس)، وأتمَّ الربيّ (يهوذا هاناسي) سنة216م تدوين هذه الزيادات الشفوية، فاصبح المِشنا يضم كُلُّ ما كتب من عهد يوضاس الى عهد الربيّ يهوذا(ينظر:صبري،التلمود شريعة بني اسرائيل،ص11. الشلبي، اليهودية، ص27).

الكتاب الثالث: لدى اليهود يُسمى**(الجمارا)**،وهو شروح علماء اليهود على (المِشنا)، فبعد أن أن إستعصى فهم المِشنا على العديد من اليهود، قام علمائهم بكتابة حواشي كثيرة سُميت(جمارا).

الكتاب الرابع: لدى اليهود يسمى**(التلمود)**، وهو عبارةٌ عن مجموعِ كتابي(المشنا) و(الجمارا). وهو بالحقيقة تلمودان مُستقلان كُتِبا في مكانينِ مختلفين، أحدهُما في بابل والآخر في أورشليم **الأوّل:** (التلمود البابلي)، وهو نفس المِشنا ولكن عليه زيادات حاخامات بابل، والّذي كُتِبَ حوالي عام(500)للميلاد، وهو المُتداول بين اليهود، واليه ينصرف إطلاق لفظ التلمود.

والثاني: هو (التلمود الأوشليمي)، وهو نفس المِشنا، ولكن عليه زيادات حاخامات فلسطين، وقد كُتِبَ حوالي عام(400)للميلاد، أي أنَّ التلمود كُتِبَ مُتأخرا زمانا، وطرءت عليه عشرات التغييرات والإضافات والإجتهادات الحاخاميّة.

مكانةُ التلمود لدى اليهود:

قد بالغ اليهود كديدنهِم بمكانةِ التلمود، ولم يكتفوا بقولِهم بأنّهُ سُنّة وشريعة شفويّة مُنزلة على موسى(عليه السّلام)، بل جعلوهُ أسمى وأجلّ من التوراة، حتى قال بعظهم: لا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود وإشتغل بالتوراة فحسب، لِأنَّ أقوال العلماء في التلمود أفضل ممّا جاء في شريعة موسى(عليه السّلام)، ولم يكتفوا وإنّما ذهبوا الى أكثر من ذلك، فقالوا: أن أقوال الحاخامات هي قول الله الحي، وأنَّ الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة لا يمكن حلَّها في السَماء، ومن يُخالف شريعة موسى خطيئة قد تُغتفر، أمّا من يُخالف التلمود فيُعاقب بالقتل(روهلنج، الكنز المرصود،ص155). لكنَّ الحقيقة التي ينبغي أن تُقال، أن ذلك من وضع الحاخامات وتكهناتهم، التي لا تستند الى أدلّة شرعيّة أو عقليّة وعلميّة، وهذا واضحٌ بأدنى تأمّل، خصوصا إذا ما إطّلعنا على نصوص كثيرةٍ من الأسفار التي لا يقبلها عقلٌ ولا نقلٌ، وأنَّها من تسويل الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وكيف يكون الأصلُ(التوراة) ـ على فرض صحّتها ـ فرعا(التلمود)، والفرعُ أصلا من حيث الأهميّة الدينية، التي شرّعها الشارع الحكيم، ولماذا الإصرار والتأكيد على شروح الحاخامات على التوراة، وإهمال التوراة نفسه، مع أنّهُم يقطعون بأنَّها شروح علماء وليست نصوص سماويّة.

والأغرب من ذلك أنَّ اليهودَ يعترفون مُنذُ القَرن السابع عشر، أنَّ التوراة الحالية ـ التي يُفترض أنّها الأصل ـ ليس لها مصدرا واحدا، وإنّما تعود الى عِدّة مصادر متعددة مختلفة، أي أنّها ليست نتاج كاتبٍ واحد، وهذا الأمر يُعدُّ من المُسلمات اليوم لدى علماء اللاهوت أنفسهُم، والمصادر هي:

مصدر (يهوه) يرجع الى القرن التاسع قبل الميلاد.

ومصدر (الوهيم) ويرجع الى القرن الثامن قبل الميلاد.

ومصدر (تثنية الشريعة) وتعود الى القرن السابع قبل الميلاد.

ومصدر (حواشي الكهنة)، وتعود الى القرن الخامس قبل الميلاد).(حسن ظاظا،الفكر الديني الإسرائيلي،ص26). فإذا كان التوراة الّذي هو الكتاب الأوّل عندهُم لا يعرفون مصدره، كيف يعرفون مصدر التلمود الّذي كتبهُ المِئات من الحاخامات والعلماء المجهولين، مع التهجير

المُستمر لليهود عِبر التاريخ، وهدم الهيكل بالكامل، وما حلَّ بِهم من دمارٍ وتشريد، وجعلهُم سبايا في بابل لفترةٍ طويلة. مضافا الى ما قلناهُ من أنَّ التلمود هو عبارة عن شروح وزيادات مُكررة ومُتأخّرة للحاخامات على المِشنا.

حاكميّة التلمود على التوراة

التلمود البابلي كما هو معلوم كُتِبَ بعد السَبي البابلي لليهود، بعد تدمير الهيكل الثاني في القدس عام سبعين للميلاد، وبعد إستقرارهُم في بابل لِأكثرِ من خمسين عاما، أمّا التلمود الأُورشليمي فقد كُتِبَ في أورشليم في زمن الرومان، وهي فترةُ رخاء وإزدهار.

ويُعدُّ التلمود المكوّن الأساسي لليهوديّة التاريخية، التي إمتزجت فيها التعاليم الدينية النظريّة بالحياة العمليّة، فهو يتجاوز المعتقدات الدينية الغيبية والطقوس، لتشمل الهوية القومية والمنطلقات السياسية والمرتكزات الثقافية، التي تشكل العقل والفكر والشخصية اليهودية (التلمود البابلي،المقدمة،ص21).

ومن هنا يظهر أنَّ الأساسَ الثقافي الصهيوني العدواني، مصدره ومنشأهُ التلمود البابلي، فقد وردّ في مقدِّمة تفسير التلمود البابلي ما يلي: (وتظهر أهميّة دراسة التلمود في كونهِ التفسير المُعتمد والشرعي للنصوصِ التوراتيّة، عند اليهود الأرثوذكس الّذين يُمثلون أغلبية يهود العالم، وهذا يعني أنَّ أي تفسير للتوراة يُخالف ما جاء في التلمود، لا يمكن أن يكون مُعتمدا عليه، ووفق هذه النظرة فإنَّ التلمود يفرض سلطتهُ على النصِّ التوراتي ويجعلهُ تابعا لهُ عمليّا...كان التلمود ومازال مصدرا ومنطلقا ومكوّنا، صَاغ من خلالهِ الفكر اليهودي نظرته لله والكون والإنسان، ومتزجت فيه السياسة بالأخلاق (التلمود البابلي، المقدمة،ص23).

أي أن التلمود خليط ومزيج معرفي، دينيٌ تاريخيٌّ إجتماعيٌّ سرديٌّ، يجعل مِن تاريخ اليهود وحركاتهم وإضطهادهم، حركةٌ واحدةٌ مُقدّسة بحركاتِها وسكناتِها، وأن علماء اليهود مِن الحاخامات هُم مَن يُقرر المُراد الحقيقي للتوراة والأسفار القديمة، وأنَّ التلمودَ خُلاصة الدّين والتاريخ اليهودي، وسلوكهُ العملي، وأنَّ نصوص التوراة تُفهم مِن خِلالِ التلمود وليس العكس، وهذا يكشف أنَّ قداسة الحاخامات أسمى مِن قداسة النصوص التوراتيّة وأسفار العهد القديم، ومازال التلمود والحاخامات لهُم السَطوةُ على اليهود، من خلالِ تمسّكهُم بالتلمود الحاخامي.

والفريسيون هُم أوّل من دعى الى إتّباع الروايات الشفوية(التلمود)، وهُن فرقة يهودية ظهرت قبل السيّد المسيح بمئتي عام، ونشطت بعد ميلاد المسيح بمئتي عام، وهُم أتباع الحاخام(عزرا) ويعدّونهُ أفضل مُعلّم يهودي بعد موسى(عليه السلام)،(صبري، التلمود،ص11).

المطلبُ الثاني: أخلاقيّات ومُعتقدات التلمود

التلمودُ بِقسميه ـ البابلي والأُورشليمي ـ لدى المُحللين والنُقّاد ليس كتابا دينيّا مُحترما، لِما يتضمّن مِن أفكار وسلوكيّات غريبة، لا ترقى للنقاشِ العلمي والمنطقي والعَقَدي، وليس هو مِن فيضِ الشريعة السمحاء، وليس لهُ أهداف ربانيّة رحمانيّة، وإنّما مِعظم أهدافهُ حاخاميّة دنيويّة نفعويّة إنتقاميّة، كردّةِ فعلٍ على إضطهادِهم وتهجيرهِم المُستمر عِبر التاريخ، بل حتّى في العصر الحديث وما فعلهُ النازيّة والروس وغيرهم من دول أوروبا والأندلس، فاليهودي في طبعهِ وفكرهِ غريب، لا ينسجم ولا يتآلف مع الثقافات والديانات الأُخرى، لِذا تجدهُ يكره الناس جميعا، وينظر لهُم بعينٍ واحدةٍ، مّما جعلهُم مكروهين لدى عامّة البشر.

وهذا الإنطواء لدى الشخصيّة اليهوديّة، والأنانيّة والمَيل المُنفرد، لم يأتي مِن فراغٍ ودون منشأٍ فلو نظرنا بعضٍ مِن نصوص التلمود، لقطعنا بِأنَّ التلمود هو العُقدةُ الأُولى والمنشأ الأساس لذلك التطرّف والإنزواء والعُدوانيّة، وأنَّ مصدرهُ رجالات وحاخامات اليهود، وكُلُّ ما فيه من كلماتِهم وتسطيرهِم، وهذا التطرّف والغلو على جميع المُستويات والمجالات المعرفيّة، الإجتماعيّة والعَقَديّة والأخلاقيّة والسياسيّة كما سوف يأتي.

التطرّف العَقَدي في التلمود:

اللهُ في التلمود: الله تعالى في الفكر التلمودي ليس لهُ حصانة ولا عصمة، يقول (جوزيف باركلي): بعض أقوال التلمود مُغال، وبعضها كريه، وبعضها الآخر كفر، وهي أثرٌ غير عادي للجهد والعقل وللحماقة الإنسانية، وليست هناك حماقةٌ أو كفرٌ أكثر من تلك الصورة التي يصورون بها المولى...وانَّ الله يجلس في الثلث الأوّل من النهار يُطالع الشريعة، وفي الثلث الثاني يحكم وفي الثلث الثالث يُطعم العالم، وفي الثلث الأخير يجلس يلعب مع الحوت، وبسبب حجم الحوت الكبير رأى الله ان يحرمهُ من زوجته، وإلّا إمتلأت الدنيا وحوشا وألكت من فيها، فحبس الله ذَكَر الحوت وقتل الأنثى...ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل(صبري، التلمود شريعة بني اسرائيل،ص16). ويقول التلمود: لقد إعترف الله بخطئهِ في تصريحهِ بخرابِ الهيكلِ، فصار يبكي ويقضي ثلاث أرباع الليل يزئر...وأنَّ الله يندم لأنّهُ ترك اليهود في حالةٍ من التعاسة، حتّى أنّهُ يلطم ويبكي كُلَّ يوم، فتسقط عن عينه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم الى منتهاه، وتضطرب المياه وترجف الارض وتحدث الزلازل...وجعلوا من القمر أن يُخطّأ الله تعالى، قال القمر: أحطأتَ حيث جعلتني أصغر من الشمس، وقد إعترف الله بذنبه وقال: إذبحوا لي ذبيحة أُكفّر بها عن ذنبي لِأنَّي خلقت القمر أصغر من الشمس...ونسبوا لله التهوّر والطَيش، فقال أنَّ الله غضب يوما على بني إسرائيل في الصحراء وحلف بحرمانهم

من الحياة الأبديّة، لكنه ندم على ذلك بعدَ أن زال تهوره وطيشه، ولم يُنفّذ ذلك اليمين لِأنّهُ إرتكب عملا ضد العدالة...وجاء في التلمود أنّ الله إذا حلف يمينا غير عادل، إحتاج الى من يُحللهُ من يمينه، ولذلك نصّب الحاخامات ملكا بين السماء والأرض وسموه(مي)مهمتهُ تحليل الله من إيمانهِ ونذورهِ عند اللزوم...ويعتبر التلمود ان الله مصدر الشّر ...وأنَّ داوود الملك لم يرتكب خطيئة بقتل(أوريا)والزنا بزوجتهِ،لِأنّ الله هو السبب في كل ذلك(الماجدي،مجلة دراسات الاديان، ص125).وغير ذلك الكثير.

التلمودُ والتعامل مع الأجناس والأديان الأُخرى: في الخطابات الإعلاميّة والثقافيّة العامّة نسمع مقولة اليهود المشهورة(نحن شعب الله المختار)، ولا نعلم منشأ هذا التعالي والتكبّر والغرور، حتّى إطّلعنا على شيءٍ من نصوصِ التلمود، فوجدنا المسالة أكبرُ مِن كونِها مقولة، ورأينا التمييز والتعصّب في أعلى مرتبهِ. فالتلمودُ يُميّز أروح اليهود في أصلِ الخلقِ والإيجاد، ويرى أنَّ أرواحَ اليهود تختلف عن الأروح الأُخرى، بِأنّها جزءٌ من الله، كما انَّ الإبن جزء من أبيه، وأنَّ اليهودي أرقى من الملائكة، بل يرى أنَّ غير اليهودي ليس مِن البشر أصلا، كما سوف يأتي. مضافا الى أنّهُ يقول بتناسخ الأرواح، وهي مُعتقدات بابلية وهنديّة وغيرها تسربت الى الفكر اليهودي (ينظر:الشلبي،اليهودية،ص272).

ويرى التلمود أنَّ الإسرائيلي مُعتبر عند الله أكثر من الملائكة ، لكونهِ جزءً مِن الله، فإذا ضربَ أُميٌ إسرائيليا فكأنّما صربَ العزّة الإلهية، والفرقُ بين الإنسان والحيوان هو بقدرِ الفرق بين اليهودي وغير اليهودي، ولليهودي في الأعيادِ أن يُطعم الكلب ولا يُطعم غير اليهودي،وأنّ الشعب المختار هو الشعب اليهودي فحسب، وأمّا باقي الشعوب فهُم حيوانات..ويمنع التلمود السلام على غير اليهودي، ويُبيح النفاق مع غير اليهودي ، وتحرم الصدقة على غير اليهودي، وأنّ المالَ والمُلك لله، وبما انّ اليهودي جزءٌ من الله، فجميع الأرض مُلك لليهود بالنيابة، ويحق لليهودي ان يغش غير اليهودي ويحلف زورا...وأنّ الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للأُمي مالهُ المفقود ـ والمقصود بالأمي غير اليهودي ـ،...ويجوز الربا مع غير اليهودي...ومُحرمٌ على اليهودي أن يُنجّي أحدا من الأُميين،من هلاكٍ أو يُخرجهُ من حفرة...وأنَّ اليهودي لا يخطىء إذا إعتدى على عرض الأجنبي، لِأنّها عقودٌ فاسدة، وكُل إمرأة غيريهودية فهي بهيمة، ولا يصحُ العقد على البهائم(الماجدي، مجلة دراسات الأيان،ص125). وهذا ما صرّح به الحاخامات(رشى وبشاي وليفي وجرسون)، وأكدهُ الحاخام(ميمانود)بقوله: بِأنّ لليهودي الحقّ في إغتصاب النساء المسيحيات والمسلمات(صبري، التلمود شريعة...،ص17،م.س).

وكيف لا يقولون ذلك في النساء، وقد قال التلمود بِشأنِ مريم والمسيح ما هو أشدُّ من ذلك، فقالوا: أنّ مريم كانت صاخبة وجامحة في بيتها ولا يستقر قدماها، تارة في الخارج وأخرى في

الشارع، فأمسكت ـ الشاب ـ شاب لتغويه وقبلتهُ وأوقحت وجهها...(بيتير شيفر،يسوع في التلمود،ص85).

ووَرَد في التلمود أنّ يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وأن مريم أمُهُ أتت بهِ من العسكري ـ باندارا ـ عن طريق الخطيئة، وأنّ الكنائس مقام القاذورات، والواعضون بها أشبه بالكلاب النابحة، وأنّ قتل المسيح من الأمور المأمور بها، وأنّ على اليهودي أن يلعن رؤساء المذاهب النصرنية ثلاث مرات، وأنّ هناك نوع من الطهر لا يصل اليه اليهودي إلّا بإستخدام الذبائح البشرية من المسيحيين(روهلنج، الكنز المرصود،ص270).

والتلمود يعتبر المسيحيين من نسلِ الشيطان، وكان عند الفريسيين صلوات وأدعية يوميّة ضد المسيحيين، يقولون فيه:(فليحط الإله اليأس فيقلوب المرتدين وليهلك كل المسيحيين التو).(الماجدي،نظرة في التوراة،ص59). إلّا أنَّ هذا الدعاء رفعوه من طقوصِهم في العصور المُتأخرة للمُقاربات السياسيّة والمصالح المُشتركة.

ومِن خِلال ما تقدّم من النصوص والمفاهيم التلموديّة، ومحاولة تجسيد تلكَ السلوكيات الشاذّة والغريبة على أرض الواقع، يُفهم أنَّ الشرور اليهوديّة صنيعة التلمود، والتلمود صناعةٌ حاخامية، صيغت بدوافعٍ ورواسبٍ نفسيّة مُتطرفة، الغرضُ منها الثأر لِما مرَّ بهِ اليهود من تهجير وظلم من الأقوامِ والمُلوك القويّة والمُسيطرة، التي كانت تتعامل مع الأقليات المُنزوية التي لا تنسجم مع طبيعة تلك الشعوب المُحيطة بِها جغرافيّا، وكون طبيعة اليهودي التاريخيّة إنطوائيّة، تنطلق عن رواسب فكريّة موروثة، إصبحت فيما بعد عقيدة وأصول دينية ثابتة.

فاليهودُ يسعون الى الخَلاصِ بطريقة الجمود والإنزواء وكراهيّة الشعوب الأخرى، نتيجة العُقدة المُتوغلة في كيانهم بأنّهُم جزءٌ من الإله، وأنهُم شعبُ الله إختارهُم لهُ، وخلق الخَلقَ لِخدمتهم، وهذا الشكل من التعالي النفسي الممزوج بالعُقدةِ الموروثة، ولَّدَ في سلوكياتهم وواقعِهم عدوانا لِما سِواهم من البشر، ويعتقدون أنَّ خلاصَهُم يتوقف على القضاءِ على جميع الشعوب غير اليهوديّة، وأنَّ هذا وعد الله الى موسى(عليه السلام).

نعم، في العصرِ الحديث حصل إنفتاح مدروس مِن الماسونيّة اليهودية، إنفتاحٌ على مَن يُعينَهُم على نفسهُ، في القضاء على أعدائهم، بعدَ ما وقفوا على أقدامهم بمساندة الغرب وأمريكا، فبدءَ عدوانهُم وهدفهم العَقَدي والتاريخي الأكبر، وهي إسرائيل الكبرى، وتحقيق الهدف المنشود بالبطشِ وقتل الشعوب الإسلاميّة والعربيّة بوحشيّة وإبادةٍ جماعيّة، لا نظير لها في التاريخ، حتّى أصبح المسلمون والعرب اليوم يُساندونهُم على أنفسهم، خوفا وتسليما بالواقع القهري.

المبحث الثاني: التلمودُ والتوراة في النصوصِ الدينيّة

المطلبُ الأوّل: مفهوم التوراة والتلمود في القرآنِ والتفسير

التلمودُ: القرآنَ المجيد بواقعيتهِ وصراحتهِ وموضوعيتهِ، لم يتعرَّض لِذكر التلمود اليهودي، لكونِهِ مِن صنع الحاخامات ولا أساس سماوي لهُ، فلا قيمةَ ولا واقعية لهُ، لا إسما ولا مفهوما، وكونه عبارة عن مجموعة أساطير وقصص وخرافات، مخالفة للعلمِ والمنطق والوجدان. بينما تعرَّض القرآن الى (التوراة والفرقان والألواح والصحف والكتاب) بكلِّ وضوح وصراحة، ولم يتردد في كشف الحقيقة، لِكونهِ تبيانا لِكُلِّ شيء، وهُدًى وَرَحمَةً للعالمين، والتي تحمل معان مُتعددة بِحسبِ إختلاف التفاسير.

نعم، قد يُشير القرآن العزيز الى التلمود ضمنا مِن خِلال الآيات، التي تناولت التحريف والدسّ لدى اليهود، وأنَّ التلمود هُو ذاتُ التأويلات والتفسيرات الباطلة، التي نَسبها الحاخامات الى الله تعالى زورا وبُطلانا، فيكون القرآن العزيز قد أشار الى أصحاب التلمود على نحو العموم، وذكرَ فعلَهُم وقُبحَهُم في التحريفِ والتزوير في الكُتُب المُنزَلة، بصفةِ أنَّ التلمود ليس كتابا سماويّا لكي يُصرَّح به، وإنّما أشار القرآنُ الى سلوكٍ مُنحرفٍ لليهود، في تعاملِهم مع الكُتب السماويّة والأنبياء، فكانت نتيجة التحريف والإنحراف العِلمي والعَقَدي ظهور تعاليم حاخاميّة سُمّيت بالتلمود، مِن قبيلِ قوله تعالى**{وَقَد كَانَ فَرِيقٌ مِّنهُم يَسمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحرِّفُونَهُ مِن بَعدِ مَا عَقَلُوهُ وهُم يَعلَمُونَ}**البقرة75. وقوله تعالى**{وإنَّ مِنهُم لَفَرِيقاً يَلوُونَ ألسِنَتَهُم بِالكِتَابِ لِتَحسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِن عِندِ الله وَمَا هُوَ مِن عِندِ الله وَيَقُولُونَ على اللهِ الكَذِبَ وَهُم يَعلَمُونَ}**آل عمران78. وهي إشارات للسِلوكِ المُنحرف الّذي نتج عنهُ التلمود، أيْ أنَّ القرآن العزيز تعرَّض للسلوك، الّذي هو العِلّةُ التامةُ لظهورِ وبُروز التلمود، وأنَّ التلمودَ معلول لعلتهِ التامة وهي السلوك المُنحرف، وأنَّ مُعالجة السُلوك أولى من معالجة النتيجة، وأنَّ من عظمة القرآن العزيز كشفهُ المُبكِّر عن أسباب الإنحراف، وتحذيرُ المؤمنين منهُ، ولِذا لمْ يتعرَّض القرآن الى التلمود، لِكونهِ سالبٌ بإنتفاءِ الموضوع، فلا وجود لهُ واقعا، بِخلافِ التوراة التي بالرغمِ مِن حجمِ التحريفِ فيها، إلّا أنهُ لم ينف وجودها السماوي الواقعي، بل إعترف بوجودها، وأنّها كتابُ هُدى وموعظة، كما سوف يأتي.

ويُسمّى التلمود الشريعة الشفويّة لليهود، وقد جُمعَ على مدى قرون عديدة، وكُتبَ باللغة الآراميّة، خِلاف المِشنا الّذي كُتبَ باللغة العبرية، والتلمود هو حاشية على عمل التنائيم ـ المفسرون ـ.... وهو ليس كتابا دينيا، وإنّما أدبي، يتضمن تشريعا قانونيا ومنهجا وطقوس وشعر وصلوات وقصص تاريخية وحكايات شعبيّة(فهم التلمود،ألان كوري،ص47).

التوراة: فقد وَرَدَ ذكرها في القرآن العزيز صريحا في كثيرٍ من الموارد، كما في سورة ال عمران(3- 48-50 -65 -93). وفي سورة المائدة(43- 44 -46 -66 - 68- 110). وسورة الأعراف (157). وإختلفت التفسيرات والتأويلات في المُراد مِن مفردة التوراة الوَاردة في القرآن العزيز، ويبقى السِياق هُو الحاكمُ في المُرادِ الجِدّي مِن النصِّ.

وقد ذكرَ القرآنُ مجموعة مفردات ذات معان للإشارة الى الشيءِ المُنزَّل على اليهود، والّذي يحمل تعاليم ومفاهيم وحقائق غيبيّة، مِن قَبيل(التوراة والصُحف والفرقان والألواح والكتاب)، مع إختلاف التفاسير والتأويل والمُراد.

وقد فُسِّرَ التوراة بالكتاب وفُسّرَ بالصُحف وفُسّر بالألواح وفُسّرَ بالفرقان، حسب طبيعة السياق القرآني. والقرآن تارة يُسمّي الأشياء بِمُسمياتها المُتداولة في ألسُن القوم وواقع الشعوب، وتارة يُسمّي التعاليم المُنزلة باسماء الوسائل والآلات الحاملة لتلك التعاليم كالألواح والصُحُف وغيرها، التي هي وسائلٌ تحمل الفاظا ذات معان ومفاهيم سماويّة، وحسب إستخدام الأقوام لتلك الفاظ ولهجاتهم، وتارة ثالثة تكون المُسمّيات سماويّة من الله تعالى، فقد ذكر القرآنُ العزيز مفردة(الكتاب)، وهي المعاني والمضامين السّماويّة التي تُرجمت الفاظها وصيغت بِكلماتٍ خُطَّت على الواحٍ وأحجارٍ وصُحُف وغيرها، بعد أن خُطَّت في السماء باللواحٍ محفوظةٍ، وأشار القرآن بالكتاب في بعضِ مواردهِ الى التوراة، كقولهِ تعالى في سورة البقرة -44-، **{أَتَأمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَونَ أنفُسَكُم وأنتُم تَتلونَ الكِتابَ أفلاَ تَعقِلُون}**.(الوجيز، الواحدي،ص102). في إشارةٍ الى التوراة السّليمة قبل التحريف. وفي بعضِ الموارد يُشير القرآنُ بالكِتابِ الى القرآن نفسه، كقولهِ تعالى في سورة البقرة -2-،**{ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيبَ فيه هُدًى للمُتَّقين}**.(جامع البيان،الطبري،ص69). إذا السياق القرأني والقرائن الحافّةُ بالنصِّ هي من تُخصّص المعنى المُراد وتُضيّق دائرتهُ.

ورُويَ عن أبي ذر(رضوان الله تعالى عليه)أنّهُ قال: " قلت يا رسول الله كمْ كتابا أنزل الله؟ قال: مائة كتابٍ وأربعة كتبٍ، أنزل على شيث خمسين صحيفه، وعلى اخنون ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان" (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص180). ويُمكن التحليل والإستفادة من هذهِ الرواية أمور مُعينة بِحكمِ السياق والقرآئن العقليّة والنقليّة، هي:

أولا: الرواية ذكرت(104)كتابا، وذكرت(100)مِنَ الصُحفَ على شيث وإخنون وإبراهيم وموسى، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ولم يرد شيء عن التلمود المُدَّعى.

ثانيا: أنَّ ذكرَ الصُحفِ والتفصيل بِها، في صددِ بيان وتفسير الكُتُب المُنزَّلة، أي أنَّ الكُتُب هي الصُحُف نفسها، والفرقُ في الإجمال والتفصيل.

ثالثا: أنَّ الصحفَ في الرواية تُشير الى التوراة أيضا، لكونها تنسجم مع سياق رواية أبي عبدالله الباقر(عليه السّلام)، قال قال لي: يا أبا محمد إن الله عزَّ وجل لم يعط الأنبياء شيئا إلّا وقد أعطاه محمدا، وقد أعطى محمدا جميع ما أعطى الأنبياء، وعندنا الصحف التي قال الله عزَّ وجل{صُحُفِ إبرَاهيمَ وَمُوسى}، قلت: جُعلتُ فداك هي الألواح؟ قال: نعم. (الكافي، الكليني ،ص225).

رابعا: دلالة الرواية على انَّ الألواح هي التوراة(جُعلتُ فداك هي الألواح، قال: نعم). أمّا سبب إختلاف التسميات فهي لِإعتبارات ثانويّة، وأنَّ العرفَ يُساعدُ على ذلك، مِن قبيل قولنا: (الصُحف اليوميّة) الصادرة عن وَزارة الإعلام، مع أنَّ لِكُلِّ صحيفة إسمُها الخاص المُغاير للإسم العام الجامِع، ويتّحد معهُ في المُحتوى والمعنى، ويُساعد على هذا المعنى أيضا ـ كون الصحف والألواح يدلان على التوراة ـ تفسير الطوسي لقولهِ تعالى{صُحُفِ إبرَاهِيمَ وَمُوسَى} الأعلى19. قال: الصُحف المنزلة على إبراهيم والتوراة المنزلة على موسى (التبيان ،الطوسي ،ص322). ومن بابِ إطلاق الكُلِّ وإرادة الجُزء. نعم، هناك من فسَّر رواية أبي ذر على أنّها كاشفة عن كونِ الصُحُف غير التوراة، لقول الرسول(صل الله عليه وآله): (وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صُحُف، وأنزل التوراة)أي أنّها واو المغايرة، إلّا أنَّ السياق يُحتمل معنى غير المُغايرة وهو الإجمال والتفصيل، فالعنوان العام هو التوراة، والصُحُف مُكوّنات وأجزاء وتعاليم التوراة(يُنظر: التوراة في أحاديث الأئمة المعصومين، نورا حسين،ص19).

وهكذا مفردة**(الفُرقَان)**، لم يتعيّن معناها بالتوراة، إلّا وفق القرآئن الحاليّة والمقاليّة للنصِّ، مع وجود الإختلاف التفسيري بين العلماء في دلالة المُفردة على التوراة، ففي قوله تعالى**{وإذ آتينَا مُوسى الكِتابَ والفُرقَانَ لَعَلَّكُم تَتَدُونَ}**البقرة53. وقد حمل الطبريُ مفردة (الفرقانَ) على أنّها صفة للتوراة، بتأويل: وإذ آتينا موسى التوراة المكتوبة في الألواحِ وفرّقنا بها بين الحق والباطل، فالكتاب في الآية نعتٌ للتوراة، إستغنى بِها عن ذكر التوراة، ثُمَّ عطف عليها بالفرقان.(ينظر:جامع البيان،الطبري،ص71).

وإحتمل الرازي مفردة (الكتاب)مِن جُملة مُحتملات الآية، قال:(والمُراد من الفرقان يُحتمل أن يكون هو التوراة)، وإحتمل أيضا دلالتها على بعض التوراة (مفاتيح الغيب،الرازي، ص514). وقال الفراء أنَّ(للفرقان)وجهان، أحدهُما التوراة(وإذ آتينا مُوسَى الكِتابَ)، ومحمدا (الفرقان).(معاني القرآن،الفراء،ص37). وقد رُدَّ هذا القول بِما نقلهُ القرطبي عن النحاس

بقوله: هذا خطأ في الإعراب والمعنى، أمّا الإعرا فانّ المعطوف على الشيء مثله، وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه).(الجامع لإحكام القرآن،القرطبي،ص271).

ونستشف من ذلك أمور منها:

أولا: أنَّ القرآنَ(وإذ آتينا مُوسى الكتاب والفرقان)قد جمع بين الكتاب والفرقان، وعطف أحدهما على الآخر، ولا مُبرر من جمع الشيء ونفسه أو صفته في موضع واحد.

ثانيا: دلالة (الفرقان) للتفريق بين الحقَّ والباطل، لا تختص بنبي من الأنبياء، فهي صفة عامّة لكثير من الأنبياء والكُتب كذلك، ولا تختص بالبعض، وعلى أقل التقادير أنّهُ مفهوم مُشكك ينطبق على كثيرين بنسبٍ متفاوتةٍ، لّذا من المصعب تضييق معنى الفرقان بهذا التعليل.

ثالثا: يبدو أنَّ مفردة الفرقان في القرآن، أُخذت بمعناها اللغوي لدى المفسرين، أمّا المصاديق التي ذكرها المفسرون للتفريق بين الشيئين، فهي إجتهاديّة بحسب المرويات والقرآئن الخارجية، ولِذا جعلوا مصداقها معركة بدر وهلاك قريش ونصرة المسلمين، وذلك فرقانا بين الحق والباطل، وكذلك جعلوا مصداقها غرق قوم فرعون ونجاة قوم موسى(عليه السلام)وغير ذلك من المصاديق.

وذهب تفسير الصافي الى انَّ الفرقان غير التوراة، وهو عهد النبوة بمحمّد والإمامة بعلي(عليهما السّلام) بقوله: " الفرقان فرق ما بين المؤمنين والكافرين فجدد عليهم العهدَ به، فإنّي آليت على نفسي قسما حقّا، أن لا أتقبّل من أحد إيمانا ولا عملا، إلّا به قال موسى ما هو يا رب، قال الله: يا موسى تأخذ عليهم إنّ محمدا خير النبيين وسيّد المرسلين، وأنّ أخاه ووصيّه عليّا خير الوصيين...فالفرقان النور المبين الذي كان يلوح على جبين من آمن بمحمد وعلي وعترتهما"(تفسير الصافي،الفيض الكاشاني،ص132). مع النظر الى إشارة القرآن لنبوة محمد(صل الله عليه وآله)في التوراة والإنجيل، بما كشفه القرآن العزيز، بقوله{الّذينَ يَتّبِعُونَ الرَّسُولَ النّضبِيَّ الأُمِّيَّ الّذي يَجِدُونهُ مَكتُوبا عِندَهُم في التَّوراةِ والإنجيل}الأعراف157.

وقال صاحب تفسير الأمثل، أن الفرقان مُعجزات موسى(عليه السلام)، لِأنَّ الفرقان في الأصل ما يفرّق بين الحق والباطل(الأمثل في تفسير القرآن،ناصر مكارم،ص168). وهو الأقرب واقعا الى النصِّ والسِاق القرآني، لكون الفرقان نزل على موسى تارة وتارة أُخرى نزل على موسى وهارون، فتكون دلالتها على المعجزات أقرب، بصفة أن المعجزات من أسباب تحقق النصر والتفريق بين الحقِّ والباطل.

المطلب الثاني: مفهوم التوراة في مرويات النبي والآل(صل الله عليه وآله).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- عواد الماجدي، نظرة في التوراة، دار جامعة الصدر للطباعة، النجف،2004، ص22.

2- روهلنج، الكنز المرصود في فضائح التلمود،ترجمة يوسف حنا،تعليق محمد الشرقاوي، دارالفكر العربي بيروت،ط1، 1422هـ - 2001م.

3- حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، معهد البحوث والدراسات العربية،الإسكندرية، 1971م، د.ط.

4- التلمود البابلي،توزيع المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات،عمان، ط1، 2011م، ج1.

5- الشلبي، أحمد، اليهودية، مطبعة النهضة المصرية، ط12، 1997م.

6- صبري، محمد،التلمود شريعة بني اسرائيل،ترحمة محمدصبري،مكتبة مدبولي القاهرة،2011م، ط1.

7- الماجدي.عواد،مجلة دراسات الأديان،بحث:أسفار اليهود تراث مبهم،عدد34،بيت الحكمة بغداد، 2018م.

8- بيتير شيفر، يسوع في التلمود،ترجمة نبيل فياض،المركز الاكاديمي للبحوث بيروت،ط1، 2016.

9- علي بن احمد الواحدي،الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق صفوان عدنان،دار الشامية،دمشق،ط1، 1415هـ.

10- الطبري،محمد بن جرير،جامع البيان في تفسير القران،دار المعرفة بيروت،ط1، 1412هـ.

11- القرطبي،محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سالم مصطفى،دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 2000م.

12- نورا حسين، التوراة في احاديث الأئمة المعصومين،دار قناديل،بغداد،ط1، 2017م.

13- الطوسي،محمدبن الحسن،التبيان في تفسير القرآن،تحقق أحمد حبيب العاملي،ط1، دار إحياء التراث العربي بيروت.

14- ألان كورى، فهم التلمود، ترجمة سامي محمد،المركز القومي للترجمة،القاهرة،ط1، 2017.

15- الشيرازي،ناصر مكارم،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،دار احياء التراث العربي بيروت،ط1، 2002م،ج1.